السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(١٣)

بِدَايَاتُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ..

الدكتور
محمد عمر الحاجي

obeikandl.com

obeikandl.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

الحَنِيْفِيَّةُ السَّمْحَةُ

تَعَالَوا أَيُّهَا الأَحِبَّةُ البَرَاعِمُ لِنَرىٰ مَا هُوَ المِحْوَرُ الرَّئيسيُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتي أُنْزِلَتْ على النَّبِيِّ ﷺ .

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا : لا إِلَـٰهَ إلا اللهُ ، فَمَنْ قَالَهَا ؛ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّـي مَـالَـهُ ، وَنَفْسَـهُ إلا بحَقِّـه ، وَحِسَـابُـهُ عَلَىٰ اللهِ » .

وَفي حَدِيْثٍ آخَرَ يُبَيِّنُ المُصْطفىٰ صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عليه : أَنَّهُ جاء لإِكْمَالِ الرِّسَالاتِ ،

وَالتَّأكيد عَلىٰ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ ، يَقُولُ ﷺ : « يَا أَيُّها النَّاسُ إِنَّما أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ » .

وَيَقُولُ عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ : « إِنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ » .

وَهَكَذَا ، فَالخَطُّ الرَّئِيْسُ للدَّعْوَةِ الإسلامِيَّةِ هُوَ إِخْرَاجُ النَّاسِ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ ، وَالأَحْجَارِ ، وَالأَشْجَارِ ، وَالأَشْخَاصِ إلى عِبَادَةِ الله الوَاحِدِ القَهَّارِ .

وَلكِنْ إلىٰ منْ بُعِثَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ؟

فَهُوَ لَيْسَ كالأَنْبِيَاءِ السَّابِقِيْنَ ، بِحَيْثُ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُبْعَثُ إلىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً ، مَثَلاً مَوْسىٰ عَلَيْه السَّلام بُعِثَ إلى بني إسْرَائِيْلِ فَقَطْ .

بَيْنَما الرَّسُولُ الخَاتَمُ ﷺ بُعِثَ إلىٰ النَّاسِ كَافَّةً ، حَتَّىٰ الجنِّ ، وَإلىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ .

مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُه تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[1] .

وقوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[2]

* * *

(١) سورة سبأ : ٢٨ .

(٢) سورة الأعراف : ١٥٨ .

obeikandl.com

« وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّيْنَ »

لَكِنْ يَا أَحبتي البَرَاعِمَ! قَدْ يَخْطُرُ بِبَالِ أَحَدِكُمْ سُؤَالٌ : هَلْ بَعْدَ المُصْطَفىٰ ﷺ رَسُوْلٌ أَوْ نَبِيٌّ ؟

جَوابُ ذَلِكَ نَسْمَعُهُ مِنَ الرَّسُوْلِ صَلَواتُ الله عَلَيْهِ : « إِنَّ مَثَلِيْ وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَىٰ بَيْتَاً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسَ يَطُوفُونَ بِهِ ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ هَلا وُضِعَتْ هَذِه اللبِنَةُ ؟

قَالَ : فَأَنَا اللبِنَةُ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ » .

وَلِذَلِكَ فَلا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَأُمَّتُهُ خَاتِمَةُ الأُمَمِ...

* * *

obeikandl.com

كَيْفَ كَانَتْ بِدَايَاتُ الدَّعْوَةِ ؟

لَـٰكِن يَا أَحِبَّتي البَرَاعِمَ تَعَالَوا لِنَرىٰ كَيْفَ بَدَأَ الرَّسُولُ ﷺ بِالدَّعْوَةِ ؟

وَكَيْفَ كَانَ مَوْقِفُ مُشْرِكِي مَكَّةَ مِنْ ذَلِكَ الحَدَثِ الغَرِيْبِ ؟

وَهَلْ تَقَبَّلُوا أَنْ يَتْرُكوا مَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ وَأَجْدَادُهُمْ ، مِنْ عِبَادَةٍ لِلأَصْنَامِ و... . ، وَالسَّيْرِ وَرَاءَ دَعْـوَةِ الـرَّسُـوْلِ ، مِـنْ خـلالِ الاهْتِمَـامِ بِعِبَادَةِ اللهِ الوَاحِدِ الدَّيَّان ؟!

حَتْماً إِنَّها مُهِمَّةٌ ثَقِيْلَةٌ ، وَمُوَاجَهَةٌ شَاقَّةٌ ، وَلِذَلِكَ جَاءَهُ الوَحْيُ مِنَ اللهِ أن يَتْرُكَ كُلَّ ما في

يدَيْهِ ، وَيُشَمِّرَ عَنْ سَاعِدَيْهِ ، وَيَسْتَنْفِرَ كُلَّ طَاقَاتِهِ مِنْ أَجْلِ الدَّعْوَةِ إلىٰ الله سُبْحَانَهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾[1] .

لَـٰكِـنَّ البِـدَايَـاتِ كَـانَـتْ سِـرَّاً ، حَيْـثُ رَاحَ رَسُوْلُ الله صَلَواتُ اللهِ وسلامُهُ عَلَيْهِ يَدْعُو أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ .

وَاسْتَمَرَّتْ مَرْحَلَةُ سِرِّيَّةِ الدَّعْوَةِ قَرَابَةَ ثَلاثِ سِنِيْنَ .

* * *

---

(١) سورة المدثر : ١ـ٧ .

أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ

وَبَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ دَعْوَتَهُ بِزَوْجَتِهِ خَدِيْجَةَ ، فَقَدْ عَرَضَ عَلَيْها مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ .

وَلأَنَّها كَانَتْ تَعْرِفُ أَخْلاقَهُ ، وَمُعَامَلَتَهُ ، وَلأَنَّها كَانَتِ امْرأَةً فَاضِلَةً ، ذَاتِ حَسَبٍ ، وَنَسَبٍ ، وَلأَنَّها نَبَتَتْ في تُرْبَةٍ طَاهِرَةٍ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِك كُلِّهِ فَقَدْ آمَنَتْ بِرِسَالَتِهِ مباشرة ، وصَدَّقتْ كُلَّ مَا قَالَ لَهَا ، فَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّسَاءِ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُه ﷺ : « خَدِيْجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ سَابِقَةُ نِسَاءِ العَالَمِيْنَ إِلىٰ الإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ » .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الحِيْنِ وَقَفَتْ مع رَسُوْلِ الله ﷺ في

سَبِيْلِ نُصْرَة الدَّعْوَة إلى اللهِ ، وَقَدَّمَتْ مَالَها وَكُلَّ مَا تَمْلِكُ فِداءً لِلإِسْلامِ ، وَبَقِيَتْ عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ تُوُفِّيَتْ .

وَقَدْ ذُكِرَ لَهَا كَثِيْرٌ مِنَ الفَضَائِلِ ، مِنْها : أَنَّ الله سُبْحَانَهُ بَشَّرَهَا بِبَيْتٍ في الجَنَّةِ ، مِصْداقُ ذَلكَ قَوْلُه ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيْجَةَ بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لا صَخَبَ فِيْهِ وَلا نَصَبَ » .

وَمِنْها قَوْلُه صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ : « أفضل نِسَاء أَهْلِ الجَنَّةِ خدِيْجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ ابْنَةُ مُحَمَّدٍ ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرانَ ، وَآسيَةُ بنتُ مُزَاحمٍ امْرأَةُ فِرْعَوْنَ » .

وَهَـٰكَذَا بَقِيَ الرَّسُولُ ﷺ يَذْكُرُ مَوَاقِفَها الصُّلْبَةَ في مُوَاجَهَةِ الأزَمَاتِ والصِّعَابِ ، حتَّىٰ بَعْدَ مَوْتِها ، بَلْ وَحَتَّىٰ انْتِقَالِهِ إلىٰ الرَّفيق

الأَعْلَى : « لَقَدْ آمَنَتْ بِيْ ، حِينَ كَفَر بِي النَّاسُ ، وَآوَتني ، إِذْ رَفَضَني النَّاسُ ، وَصَدَّقَتْنِي ؛ إذ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَني الله مِنْها الوَلَدَ ؛ إذْ حَرَمَنِي مِنْ غَيْرِها »

* * *

obeikandl.com

وأوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ

ثُمَّ عَرَضَ الرَّسُولُ ﷺ دَعْوَتَه عَلَى أَعزِّ أَصْدِقَائِهِ ، وهُوَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ ، وَكَانَ عَالِمَاً بِأَنْسَابِ العَرَبِ ، وَيَعْمَلُ في أُمُورِ التِّجارَةِ .

وَلِكَثْرَةِ مَعْرِفَةِ أَبِي بَكْرٍ بِصدْقِ الرَّسُول ، وَأَمَانَتِهِ ، وأَخْلاقِهِ آمَنَ بالدَّعْوَة ، وَتَقَبَّلَها ، وَأَسْلَم رضي الله عنه .

وَلِذَلِكَ عِنْدَما سَأَل الشَّعْبيُّ ابنَ عَبّاسٍ : مَنْ أَوَّلُ النَّاس إِسْلامَاً ؟

فَقَالَ : أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ :

إِذَا تَذَكَّرْتَ شجْواً مِنْ أخِي ثِقَةٍ

فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعلا

خَيْرُ البَرِيَّةِ أَتْقَاهَا وَأَعْدَلَها

بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِما حَمَلا

الثَّـانـي التَّـالِـي الْمَحْمُـودُ مَشْهَـدُهُ

وَأَوَّلُ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَّقَ الرُّسُلا

وَمُبَاشَرَةً انْتَقَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلى طَوْرِ الدَّاعِيَةِ، حَيْثُ عَرَضَ عَلَىٰ أَصْدِقَائِهِ مَا عَرَضَهُ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ﷺ، فَأَسْلَم عَلَىٰ يَدَيْهِ: عُثْمانُ بْنُ عَفَّانَ، والزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ، وَعَبْدُ الرَّحْمـٰنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسعْدُ بْنُ أَبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

* * *

وَأَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصِّبْيَانِ

وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ كَفَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَلَمَّا عَرَض عَلَيْهِ الدَّعْوَةَ ، أَعْلَنَ إِسْلامَهُ ، وَكَانَ لَهُ مِنَ العُمْرِ عَشْرَ سَنَواتٍ .

* * *

obeikandl.com

وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ مِنَ المَوالِيْ وَالْعَبِيْدِ

وَهَكَذَا كَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ المَوَالِي مَولاَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ العَبِيْدِ بلالُ ابْنُ رَبَاحٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَتَتَالىٰ دُخُوْلُ النَّاسِ في الإسْلامِ سِرَّاً ، حتَّىٰ كَانَ إسْلامُ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ.

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

* * *